المرأة عدوة التدخين

تنقلب من المدخنين !

ميزانيـة التدخين للرجل تستنفد جزءا كبيرا من دخله ، ولا سيما الطبقات المتوسطة الفقيرة ، ولقد تبلغ هذه الميزانيـة فى بعض الأحيان ثلث أو نصف الدخل اليومى لبعض الطبقات ، فكثيرا ما نرى عاملا لا يتجاوز أجره اليومى ستة قروش ، وهو يدخن فى اليوم بقرشين ، ويكون مصابا بداء آخر هو داء الشاى الأسود فينفق فيه قرشين آخرين ولا يبقى لمدائه وغذاء عياله إلا قرشان . ثم يشكو الفقر و يشكو الجوع !

على أن أفراد الطبقة المتوسطة ليس حالهم نسبيا بأحسن من هذه الحال ، فكثيرا ما نرى موظفا يتقاضى خمسة عشر جنيها فيمسك منها بثلاثة جنيهات ، ويدخن منها بثلاثة جنيهات ، أى أن ميزانيـة التدخين تعادل ميزانيـة السكنى له ولأسرته ، وهو اسراف لا شك فيه .

وقد ألفنا أن نرى المرأة فى البيت أكبر أعداء التدخين ، لأنه يضايقها فى ميزانية الأسرة و يضيع عليها مبلغا ضخما تحتاج إليه فى تدبير شؤون المنزل ، ورعاية شؤون الأبناء ، وتوفير وسائل الحياة ووسائل الزينة كذلك .

وكثيرا ما كان هذا العداء المستحكم بين المرأة فى البيت و بين التدخين ، يعود بالفائدة على الأسرة لأن شعور الرجل باستمرار أن التدخين يضايق امرأته ، يجعله يخفف منه و يقلل من ميزانيته ان لم ينقطع عنه بتاتا ، كما حدث فى حالات كثيرة أعلمها .

والمرأة — بحمد الله — كفيلة بأن يترك الرجل كل شىء وأن يقبل كل شىء بإلحاحها وثباتها و إصرارها على المضايقات أو الإيحاءات ، وكثيرا ما يتخلى الرجل عن أهله الأقربين ، بل عن أطفاله — أكباده التى تمشى على الأرض — لأن هناك امرأة توسوس له باستمرار وتلاحقه بمضايقاتها ، من هؤلاء الأهل ومن هذه الأكباد ، فليس بكثير على هذه المرأة أن تجعله يترك التدخين بوسائلها الدائبة الملحة المعروفة .

ولكن وقعت الكارثة — والعياذ بالله — وا قلبت المرأة تدخن وتنفث الدخان فى جو الأسرة بعد أن كانت عدوة لدودا للتدخين ، وهنا فقدنا — أو نكاد — عنصرا قويا من عناصر المقاومة فى البيت والمجتمع .

وهذا الانقلاب خطر من جميع الوجوه : خطر من الوجهة الاقتصادية ، وخطر من الوجهة الصحية ، وخطر من الوجهة الاجتماعية على السواء .

فأما خطره الاقتصادى ، فيرجع إلى تضاعف ميزانية التدخين فى البيت الواحد ، فالمعقول طبعا ان يكون زوج المرأة المدخنة مدخنا ، فترتفع نفقات التدخين إلى نحو ثلث الدخل فى الطبقات المتوسطة ، مما يؤدى إلى ضغط ميزانية المصروفات اليومية ، ويعطل كثيرا من المطالب الحيوية ويعود على البيت ومن فيه من الأطفال بالحرمان والضيق .

وأما خطره الصحى فلا يحتاج إلى الحديث ، ومن المؤكد أن صدر المرأة أضعف من صدر الرجل ، فإذا كان التدخين يصنع بالرجل ما يصنع من السعال وضيق التنفس وفقدان المقدرة على الحركة المتصلة أو المشى السريع — ودعك من الجرى — فسيصنع بالمرأة أشد مما يصنع بالرجل .

ثم يالضيعة الأنفاس المعطرة والشفاه الرقيقة التى نالت من الشعراء فى جميع العصور أرق أبيات الغزل وأبدع آيات الغناء .

وإنه لحرام أن يضيع هذا كله ، فما يبقى هناك معنى للأنفاس العاطرة والفم يطفح برائحة الدخان النتنة ، وما يبقى هناك معنى للشفاه الرقيقة وفيها لفافة تدمغها بالنيكوتين هى ولأنامل التى طالما تغزل فيها الشعراء .

ولعبة الله على المودة " القذرة " التى تنسى المرأة أناقتها ونظافتها ورائحتها وصحتها وتحيلها " مدخنة " بكل ما فى هذه الكلمة النابية من معنى ومن "دخان" .

وأما خطره الاجتماعى ، فكامن فى تقليد الأطفال الصغار لأمهاتهم فى التدخين منذ الطفولة ، ومن الثابت أن المرأة ذات تأثير حاسم فى ميول الطفل واتجاهاته المقبلة ، وطفل يبصر النور ويبصر معه أمه تدخن ، ما من شك فى أنه مصاب بالتدخين لامحالة فى مقبل الأيام .

وقد كان امتناع المرأة عن التدخين وعداؤها البالغ له من الأسباب القوية فى تقليل عدد المدخنين نسبيا بما كانت تثبته فى نفس طفلها من كراهة التدخين وهو صغير ، فنشأ كارها له فى الغالب . وإن طفلا يرى أمه تتأفف من رائحة الدخان مرة ومرة — وهو حدث — ليستقر فى " شعوره " النفور منه ، وغالبا ما يظل ينفر منه بعد أن يكبر بتأثير هذا الإيحاء الأموى ، ولو عرضت له شتى المغريات .

فتدخين المرأة من هذه الناحية تهديد شديد للجيل المقبل ، وخطر جاثم على الطفولة الحالية . والشر من المرأة دائما يكون مضاعف الأثر بسبب هذا الوضع الطبيعى الذى تفرضه الطبيعة من تأثير الأم فى الأبناء فى سن يعجزون فيها عن التمييز .

ولعل تكون هذه جناية الرجل ، فقد ظلت المرأة تقاوم عادة التدخين وتستنكرها وتتأفف منها . وإنه لمما يدعو إلى الرثاء حقا أن تجبر زوجة لا تدخن على أن تقبل رائحة التدخين من

فم زوج مدخن ! وإن الواحد ممن لا يدخنون ليتأفف من صديقه أو من جاره فى الترام أو فى السينما حينما يروح يطلق هذه الأدخنة التى تسمم الجو من حوله وتكتم الأنفاس فى صدره، وإنه ليبتعد كلما مد اليه هذا المدخن فمه للحديث، وانطلقت منه تلك الرائحة المقززة التى تنبعث من أفواه المدخنين .

فالمرأة معذورة ولا شك إذا هى " قرفت " من زوجها المدخن متى كانت لا تشاركه ، أى إذا كانت لا تزال تتمتع بحاسة شم سليمة لم يؤثر فيها التدخين فيفقدها اياها كما يفقدها الرجل المدخن. وقد كنا خليقين أن نلتمس لها العذر فى اقبالها على التدخين أخيرا لتشارك زوجها رائحته المزعجة حتى تطيق احتمال القرب منه ، وحتى لاتفسد حياتهما الزوجية بسبب نفورها المتكرر وبسبب اضطرارها لإظهار التقزز كلما دنا فمه منها .

كنا خليقين أن نلتمس لها العذر لو كنا نعلم أن هذا هو الدافع الحقيقى لها ، ولكننا واثقون أن السبب الأصيل هو " المودة " السخيفة التى انتقلت من نساء المواخير والصالونات إلى نساء البيوت والأسر ، وهو الفتنة بالتقليد الأعمى الذى لا يفرق بين نافع وضار ، أو بين طيب ورديء .

وهذه الإعلانات المجرمة التى ترسم سيدات تسميهن " الطبقة الراقية " وفى أفواههن سجائر من نوع معين . إنها عامل من عوامل هذه الفتنة ، يجب على السلطات المسئولة — وبخاصة لجنة صيانة الآداب — أن تمنعها منعا باتا ، وأن تحرم نشرها فى الصحف أو فى إعلانات الحائط أو على الشاشة البيضاء ، فانها ذات أثر وخيم .

كما يجب القيام بحملة واسعة النطاق لمقاومة هذه العادة الشائنة المخربة اقتصاديا وصحيا واجتماعيا ، فالمرأة يجب أن تكون " فرملة " المجتمع بما فى طبيعتها من المحافظة والاقتصاد ورعاية شؤون النشء الصغير ، ولا يجوز أن تكون هى عاملا من عوامل التبذير والقدوة السيئة للجيل المقبل بنين وبنات .

ولا يغر الفتيات فتونهن وقدرتهن الآن فى سن الشباب على الاحتمال ، وإنه ليكفى أن تنظر الواحدة منهن إلى شيخ يحشرج ويسعل من آثار التدخين لتبدو لهن الصورة المخيفة القذرة التى ينتظرهن بمجرد ضعف فتونهن عن احتمال آثار النيكوتين .

وإن " رابطة مكافحة التدخين " لتستطيع أن تستعين على هذه الوافدة بالصور الرمزية للسيدات اللاتى فعل بهن التدخين فعلته وترك فيهن آثاره ، وهن يسعلن ويحشرجن من أثر العادة الوبيلة .

وليس أخوف من المرأة على أناقتها وصحتها ، وإننا لنعجب كيف استطاعت فتنة مودة أن تلهيها عن المصير المحزن الذى ينتظرها من وراء هذه العادة المحطمة متى تقدمت بها السنون؟